

يوسفيات

علي جابر الفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

يوسفيات

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وصحبه ومن والاه .. أما بعد ..

فهذه تأملات قرآنية في آيات سورة يوسف .. أسأل الله أن أكون قد وفقت فيها ، وأن ينفع بها الكاتب والقارئ ..

"الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ"(١)

١ـ"الر" وأخواتها درس عميق في التسليم : فهي أحرف مقطّعة لا نعرف معناها، ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن بأنّها من كلام الله ، وبأن الله يعلم معناها ، بل ونحن متعبّدون بتلاوتها وحفظها ، بل ويكفر من ردّها أو سخر بها أو قلل من شأنها ! فتأمّل .

٢ـ"تِلْكَ" مع أنها بين يديك ، ممسك بها ، إلا أنّك تقول : تلك (إشارة للبعيد) .. استشعاراً لعلوّ مكانتها ، وشموخ معانيها ، ورفعة شأنها .

٣ـ"الْكِتَابِ الْمُبِينِ" ومن كونه مبيناً أنّ كل الكتب يعتريها غموض سواه ، وكل الكتب

فيها لبس غيره ، وكل الكتب قد يطرأ عليها شيء من التناقض عداه .

***

"إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(٢)

٤ــ"إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا" كل ما ليس من معهود كلام العرب :لغة وأسلوبا وطريقة ، لا ينبغي أن يُفسّر به القرآن العربي .

٥ــ"لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" من قرأ القرآن ثم لم تتضح الرؤى لديه ، ولم تترتب فوضى عقله ، ولم تنسجم قناعاته مع مبادئه ، فلم يقرأ القرآن !

***

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ"(٣)

٦ـ"نَحْنُ نَقُصُّ" الله سبحانه يقص ! وبعض أهل العلم يستنكف عن إيراد قصّة في كلامه يفيد بها الناس ، ظنّاً منه أن ذلك يهبط بأسلوبه العلمي !

***

"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"(٤)

٧ـ"يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ" اعقد بينك وبين أبنائك عقد حب وثقة ؛ يبثونك من خلاله

رؤاهم ، ويحكون لك عن طموحاتهم ، ويشرحون لك همومهم .

٨ــ"إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا" لم يقل : رأيت في المنام ؛ اكتفى بدلالة السياق . احذف من كلامك الحشو الذي يفهمه المستمع ببداهته ، أما إذا كان الكلام ذا شأن وخَطر ؛ فيجب هنا التوضيح وفكّ الغموض كما في رؤيا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل فقال له : " يا بني إنّي أرى في المنام أني أذبحك" ففصّل ولم يختصر لأن القضيّة متعلّقة بذبح الابن ! فتأمّل.

٩ــ بين : **"يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ"** و **"يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ"** تاريخ :كلّه أحزان ، وابتلاءات ، ومواجع ، وصبر كالجبال .

***

"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ"(٥)

١٠_لم تسهُل **"يَا أَبَتِ"** على يوسف عليه السلام إلا لما سهُلت **"يَا بُنَيَّ"** على يعقوب عليه السلام ! : هذّب خطاب ابنك ؛ برفع مستوى خطابك معه .

١١_**"قَالَ يَا بُنَيَّ"** تحبّب إلى طفلك ونادهِ بلفظ البنوّة ، اغرسها في قلبه صغيرا ، لعلّها تثمر فيه البرّ كبيرا .

١٢_**"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ"** أطفئ نار الحاسدين بإخفاء مميزاتك عنهم .

١٣ـ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" من أشد الفراسات مواطأة للحق فراسة الوالدين في أبنائهما .

١٤ـ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" ليس شرطا أن يعبّر المعبّر كلّ الرؤى ! بعض الرؤى يُكتفى معها بالتوجيه العام.

١٥ـ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" وضح مرادك وأفصح خطابك لدى الصغار ، ومن يحتاج إلى مزيد إيضاح وبيان ، لاحظ فك إدغام : تقصّ إلى تقصص .

١٦ـ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" لا بأس أن تحذّر الأخ

من إخوته والرجل من قريبه إن علمت الشر فيهم يقيناً ، وليكن تحذيرك مرتدياً ثياب الحكمة والعقل .

١٧ــ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" طاقة الحسد تتيقظ لدى الأقربين ومن تربطك بهم علاقة أكثر من غيرهم .

١٨ــ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" قَصّ الرؤى والأحلام وغرائب الأمور على الآخرين عادة إنسانية عتيقة ، توارثتها الأجيال البشرية ، وأتت الشرائع بتهذيبها وتأطيرها .

١٩ــ"قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ" هناك نفوس ضعيفة ،

حتى الرؤى والأحلام تستنزف طاقة الحسد لديها .

٢٠ــ بداية القصّة "**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**" ، ونهاية القصة "**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**" : الشيطان هو العنصر الأخطر في بؤس البشر .

***

"وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"(٦)

٢١_" **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ**" إذا اجتباك ربّك واصطفاك : فعصف المكائد هباء ، وخطط الإغراء غباء ، وظلام السجون ضياء .

٢٢ _ "**وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**" الرؤيا العظيمة التي يراها الطفل قد يُستدل بها على علاقة سترّبطه مستقبلاً بالرؤى ؛ كأن يكون معبراً .

٢٣_"**الأَحَادِيثِ**" التحدّث بالرؤى من الفطر المغروسة في النفوس ، لذلك اشتُقّ لها من هذا التحدّث اسماً فكانت (أحاديث) ، فلا تعاند الناس في فطرهم ، ما لم يبالغوا فيها .

٢٤ _ "**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ**" اسأل الله النعمة ؛ فإن وهبك إياها فاسأله تمامَها ! وتمامُها أن تكون سبباً في دخولك الجنّة .

٢٥_ "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ" العابد يسأل الله النعمة ويكتفي بذلك ، والعالم يسأله النعمة وتمامها .

***

"لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ"(٧)

٢٦_"آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ" لو لم تبق من الصفات البشريّة غير ثلاث صفات ، فأظنّ أنّ التساؤل وحب طرح الأسئلة ستكون إحدى تلك الصفات الثلاث !

٢٧_ "وَإِخْوَتِهِ" لا تؤذ من سيبقى أخاك مهما فعلت به !

٢٨ــ "وَإِخْوَتِهِ" أعمق جرح يبقى في صدرك هو ذلك الذي جاء من ناحية أخيك ؛ لأنّه جاء من الناحية التي كنت تظنّ أنه لن يأتيك منها إلا الأمان.

٢٩ــ"وَإِخْوَتِهِ" مشكلة أخيك الذي ظلمته ، أنّه مهما بلغت درجة الظلم والقطيعة بينكما : سيبقى أخاك ! يخترق أحلامك ليلاً ، ويتسلل إلى كلماتك دون ترتيب ، ويظهر على سطح ذكرياتك فجأة .

٣٠ــ"وَإِخْوَتِهِ" كلمة (الأخ) فيها من الدفء والعطف والراحة ما فيها ، من المحزن أن تقترن بالظلم والقهر والدموع ، فلا تسمع بعدها كلمة أخ ، إلا وقلت من شدّة القهر : أخّ !

***

"إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ"(٨)

٣١_"إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ" لم يظن أحد أن هذا الحب سيوصل يوسف إلى غيابة الجب ! كم من مقدّمة لا تدلّ على نتيجتها .

٣٢_" أَحَبُّ" غالبيّة من حولك لا يطالبونك بأن تحبّهم ؛ بل بأن يكونوا الأحب إلى قلبك ! عندما تغدو " أفعل التفضيل" أزمة ..

٣٣_"وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" هناك أزمة حقيقية في الذهنيّة البشريّة لا يمكن أن تزول ! إنّها أزمة العدد !! أزمة الأرقام الكبيرة ، الانبهار بها ،

وتعظيمها ، وتقديسها ، وعدم إمكانيّة الخروج من سطوتها !

٣٤ــ في الحلقة الأولى قالوا عن أبيهم :**"إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ"** وفي الحلقة الأخيرة قالوا عنه: **"إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ"** سمّوا حبه لابنه ضلالا مبينا ، وذكره له ضلالاً قديماً ! مشكلةٌ إن كان ميلك الطبيعي سبباً في رميك بالضلال .

***

"اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ"(٩)

٣٥_ما بين **"اقْتُلُواْ يُوسُفَ"** و **"لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ"** دارت أظلم اتفاقية : شردت حياة صبي بريء .. وأحرقت قلب شيخ كبير .. ودمرت أحلام أسرة هانئة .

٣٦_ في خضم **"اقْتُلُواْ يُوسُفَ"** و **"لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ"** كان يوسف في مكان آخر ، منشغل بطفولته ، لا يدري أن هناك من يخطط لينهي طفولته البريئة .

٣٧_**"يَخْلُ"** التفرّد والرغبة في الاستحواذ وعدم المشاركة داء بشريّ مقلق . فباتت همّة الأكثر من الناس لا أن ينجحوا بل أن يتفوّقوا ، لا أن يصلوا بل أن يتميّزوا ، لا أن يتخرّجوا بل أن يكونوا الأوائل على الدفعات ! وهذا درس نكرّسه من حب الذات وتمجيدها وغمط

الآخرين ، وهي أنانيّة في ثوب عصري ، وغرور في لباس مدني !

٣٨ـ "وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" قد ينتج أعظم الفساد الآني ، من فكرة الصلاح المستقبلي .

٣٩ـ "وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" لم تكن لتُهضم فكرة القتل الشنيعة ، لولا تلطيفها بفكرة التوبة المستقبليّة ! احذر من زخرفة القبح .

***

"قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ"(١٠)

٤٠_"**قَائِلٌ مِّنْهُمْ**" إذا عرف الله صدقك ؛ فليس مهمّاً أن يعرف الناس اسمك .

٤١_ "**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**" خفف الشر ما استطعت .

٤٢_"**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**" محزن أن تبدو الرحمة في شكل رفض القتل ! حتى يظهر أن أكثر الموجودين حناناً ورحمة هو ذلك الذي يرفض القتل ! ويرضى بما دونه من التعذيب والتنكيل !

٤٣_"**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**" الألطاف كانت تحوط بيوسف ؛ فمن بين مكائد إخوته ارتفع صوت "**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**" ، ومن عمق البئر جاءته صرخة "يا بشرى" ، وفي أولى خطواته في القصر سمع همسة "أكرمي مثواه" ، ولحظة

إلصاق التهمة به في بيت العزيز ارتفعت شهادة "وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين" ، وفي آخر أيام السجن جاءه اعتراف "أنا راودته عن نفسه لمن الصادقين" ، وقبيل خروجه من السجن جاءته رسالة "ائتوني به أستخلصه لنفسي" .

٤٤ـ "وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ " لم يقل الجبّ وإنما قال غيابة الجبّ : تجُبرك وحشية الآخر أن تتوحش في لغتك حتى تناسبه حلولُك .

***

"قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ"(١١)

٤٥ـ"يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا" عندما ولجوا من باب الخيانة ؛ كان أول ما طرقوا موضوع الأمانة ! تنبّه لأول موضوع يطرحه خصمك فقد يكون الطُعْم فيه .

٤٦ـ"يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ" لا يعلم الابن أن دسائسه مفضوحة ، ونظراته مكشوفة ، وهمساته مسموعة عند والده .

٤٧ـ"مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا" استخدموا لفظ الأمن في الوقت الذي قرروا فيه زعزعته ! دقق في عبارات وألفاظ الآخرين ؛ فإنها قد تحوي شيئا من أفكارهم .

٤٨ـ"مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا" شك في أمانة من يسألك : لماذا لا تأمنّي ، وفي صدق من

يسألك : لماذا لا تصدقني ، وفي حكمة من يسألك : لماذا لا تعتمد علي .

٤٩_"وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ" وصفوا أنفسهم بالنصح لأنهم علموا أن الناصح يستحيل أن يؤذي غيره : إذا رأيت ناصحا فتمسك به ؛ فإنه الأمان .

***

"أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"(١٢)

٥٠_"أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا" إذا واجهك شخص بطيبة مفاجئة فاحذر منه ، فإذا كانت مفاجئة ومُلحّة ، ففرّ منه .

٥١ـ"أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا" الحقد يبحث عن أقرب فرصة لتنفيذ مخططاته .

٥٢ـ"يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ" فقط مهتمون بلعبه ومتعته !! غالباً : خلف الاعتناء الزائد غرض فاسد .

***

"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ"(١٣)

٥٣ـ"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ" لا تهمل الخاطر الأول ، والتوقع الأول ، فكثيراً ما يكون فيه شيء من الإلهام .

٥٤_"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ" عندما رأى الله شدّة تعلّق وحزن قلب نبيّه على ابنه جعل عينيه تبيضّان من الحزن : تعلّقْ بالله وحده .

٥٥_"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ" فأحزنه ذهابهم به سنوات وسنوات ؛ حتى أفقده الحزن بصره : احذر من كلماتك!

٥٦_"وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" لا تعط الآخرين السيف الذي يغتالونك به ، لا تساعدهم في مخططاتهم عن حسن نية .

***

"قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ"(١٤)

٥٧_"إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" ، **"قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ"** ونحن عصبة ، ونحن عصبة : عندما يصاب الإنسان بمرض الرقم ، وبأزمة الكَثرة!!

***

"فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ"(١٥)

٥٨_"وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ"

لم يدر في خلد حافري ذاك البئر أنه سيكون سجنا لنبيّ كريم ! كم من مكان عادي تحتفظ ذاكرته بمشهد أليم.

٥٩ـ"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا"

من غرائب المصائب ، أن قلبك يكون فيها أكثر تهيؤاً لمعاني الربوبيّة .

٦٠ـ"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا"

دائماً إذا أغلقت النوافذ ؛ يخلق الله لك باباً !

٦١ـ"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا"

من بين طوفان اليأس ؛ تأتي مراكب الفَرَج ، وفي وسط لهيب الأحزان ؛ تنمو زهور الفَرَح .

٦٢ـ"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا"

ماذا تعني أكوام البلاءات ؛ عند قلب يستشعر قُرْب الله ؟

٦٣ـ"لَتُنَبِّئَنَّهُم" يحتاج المظلوم أن يقول للظالم : أنت ظلمتني في يوم من الأيام ، أنت

عبثت بتاريخي ، أنت لوثت سمعتي ، أنت لعبت بدموعي .

٦٤_"لَتُنَبِّئَنَّهُم" هل كان يتصور الإخوة وهم يخططون للتخلص من أخيهم أن أفكارهم وتهامسهم وجريمتهم سيفضحها الله في كتاب مقدس ؟

هل كانوا وهم يلقونه في البئر يتوقّعون أن عملهم سينكشف بتفاصيله في سورة تحمل اسم ذلك الأخ الذي يهوي الآن ؟

٦٥_"لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" أشد ما تكون المصائب والفضائح والبلايا وقعا على القلوب إن كانت مفاجِئة ، صادمة ، لا يُتنبأ بوقوعها .

***

"وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ"(١٦)

٦٦ـ"وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ" الأنباء السيئة تتشح عادة بالسواد !!

٦٧ـ"وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ" أصحاب النظرات الزائغة ، والدموع الكاذبة ، والمشاعر الزائفة ؛ يحضرون في المساء لتسترهم الأضواء الخافتة !

٦٨ـ"وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ" القلوب القاسية لديها قدرة عجيبة على أن تنتج دموعا شبيهة بدموع الحزانى ! : اهتم بتاريخ الباكي ودعك من ملامحه .

٦٩ـ"يَبْكُونَ" لكل أكذوبة إطارها المناسب !

***

"قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ"(١٧)

٧٠ ـ " يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ" ، " يا أبانا مالك لا تأمنّا" ، "يا أبانا مُنع منّا الكيل" ، " يا أبانا إنّ ابنك سرق" ، "يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردّت إلينا" رحم الله يعقوب ـ عليه السلام ـ كم سمع من الكلمات القاسية ، والتي رضّت فؤاده وأطارت رقاده بعد كلمة الحنان والرحمة الشهيرة : يا أبانا !

٧٢_ " **نَسْتَبِقُ**" بعيداً عن كون قصّة الاستباق مختلقة ، كثيراً ما تقع المصائب بعد أجواء مرح وسرور !

٧٣_ "**نَسْتَبِقُ**" في كل العصور : يحرص الشباب على أن يبزّوا أقرانهم في القوّة والسرعة وبقيّة المهارات ، لذلك أنتجوا ألعاباً ومسابقات مهمّتها إظهار الأميز والأجدر والأقوى !

٧٤_"إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا" عجيب! البارحة تريدونه أن يرتع ويلعب ، واليوم جعلتموه حارساً للمتاع وصرتم أنتم الراتعين اللاعبين ؟

٧٥_"**فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**" الذئب! ذكره أبوهم بالأمس ؛ فبات متَهمهم اليوم! الكذب ممارسة هشة ، تتناول أقرب قناع .

٧٦_ "فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ" لا تصدّق كل إشاعة تسمعها ، حتى وإن كانت هناك إمارات تشير إلى صدقها ، فمن عادة صانعي الإشاعات أن يضعوها في قوالب يمكن تصديقها !

***

"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"(١٨)

٧٧_"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" يا للوعة قلب الأب وهو يرى قميص ابنه ، كان بالأمس يرى فيه ابنه ، واليوم يرى عليه دم ابنه المزعوم .

٧٨_"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" يبدو
أن تزوير الحقائق عادة اكتسبها الإنسان منذ
القدم !

٧٩_"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِب"

إنا له لحافظون ، يرتع ويلعب ، إنا له
لناصحون ، البكاء ، ذهبنا نستبق ، تركنا
يوسف ، أكله الذئب ، الدم ...

أنت بحاجة لحزمة أكاذيب ؛ حتى تنضج كذبة
واحدة !

٨٠_"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" عبق
حياة يوسف في القميص أشد سخونة من
صراخ الدم الكاذب .

٨١ـ"وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" دموع باردة ، نبرة مخادعة ، تفاصيل مزوّرة ، دم كذب ، الكاذب يدجج نفسه بالأباطيل ؛ ليتقدّم في أرض البهتان !

٨٢ـ"قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" تأمّل كيف سوّلت لهم أنفسهم أمراً بهذه الشناعة ، وجعلته مُسوّغاً ومُقنعاً !

: لا تثق دائما بميولات نفسك ؛ فقد تميل نفسك لأفعال غاية في الشناعة .

٨٣ـ"قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" إذ كيف يأكله الذئب ولما تسجد له الكواكب بعد ؟ كن بمبشرات الله أوثق منك بما تراه عيناك .

٨٤ـ"**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا**" لم تمحُ "فأكله الذئب" حقيقة "إني رأيت" ثق بالله ، وتجاهل كل الأيمان المغلظة التي تنثرها الحياة من حولك .

٨٥ـ"**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**" اهزمْ الكيد البشع ، والمؤامرات القبيحة ، والخطط الشمطاء ، بالصبـر الجميـل .

***

"**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**"(١٩)

٨٦ـ"**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ**" قيل: ضاعوا فبلغ بهم المسير إلى الجُب : إذا أراد اللطيف إنقاذك ،

يُضيع آخرين لأجلك! يُريهم البئر لتنجو! يُعطشهم لتحيا!

٨٧_"وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ" إذا أراد الله إنقاذك ؛ خلق حاجة ما في نفوس بعض خلقه ؛ يدفعهم بها لينتشلوك من جبّك الموحش .

٨٨_"فَأَدْلَى دَلْوَهُ" لا تستهن بالأشياء والأشخاص الذين تجدهم مصادفة في دلوك أو طريقك أو بجوارك ؛ فقد يكونون أثمن مما تظن !

٨٩_"فَأَدْلَى دَلْوَهُ" لا تستغرب : كثير ممن انحشرت أجسادهم في دلاء الابتلاء ؛ تربّعوا على عروش التمكين !

٩٠_"**فَأَدْلَى دَلْوَهُ**" قد تكون نهاية مواجعك دلواً عتيقاً يقدّر الله أن ينتشلك به من جُبّك المظلم .

٩١_"**قَالَ يَا بُشْرَى**" تفاءل بالكلمات الأولى ، المضمّخة بعطر الفرح .

٩٢_"**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً**" مع الله : سلعة تباع وتشترى يقدّر الله أن تتربّع على عرش العزة في مصر ، وتنقذ البلد من طوفان القحط !

٩٣_"**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً**" حقيقتك لن تغيّرها نظرة الناس إليك : فيوسف ظنّوه بضاعة ، وحقيقته نبيّ كريم ، وعزيز لمصر عظيم .

٩٤_**"وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً"** لم يخطر في خيالاتهم أن هذا السر الذي أسرّوه سيفضحه الله في كتاب ينزل من السماء !

***

"وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"(٢٠)

٩٥_**"وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"** الدنيا كلها ثمن بخس في مقابل نبي كريم ، فكيف بدراهم ، ومعدودة أيضا؟

٩٦_**"وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ"** لا تنزعج إن اعتبرك البعض بضاعة رخيصة الثمن ، دعهم يقدّرون ثمنك كما يشاؤون ، ثم ابتسم! فأنت وحدك من يعرف ثمنك الحقيقي!

٩٧_"دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" من قلّة الدراهم التي باعوا بثمنها يوسف أنّها تعدّ عدّا ولا توزن وزناً ! لا تحزن للمقابل الذي يدفع عن أتعابك ، لا تأس لتواضع مرتّبك .. فليست قيمتك ما تقبضه آخر الشهر ، بل ما تبذله آخر العمر !

٩٨_"وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" كم من سلعة أغلى من بائعها !

***

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ"(٢١)

٩٩_"الَّذِي اشْتَرَاهُ" صفته الأهم في هذه الأثناء ليس أنّه عزيز مصر ، بل أنّه اشترى يوسف الصدّيق ! هناك أشياء يقول بها الإنسان ، يظنّها عاديّة ، وهي أهمّ شيء في حياته !

١٠٠_"أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" إذا أراد الله إكرام عبده ؛ جعل عيناً ما تراه بكيفيّة أخرى ، أو أذناً ما تسمعه بهمسة أخرى ، أو قلباً ما يحبه بنبضة أخرى .

١٠١_"أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" كانت هذه أول وصايا العزيز لزوجته ، وكأنه قرأ في عينيّ زوجته مستقبل المؤامرات التي ستهدد مثوى يوسف .

١٠٢_"أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" إذا أراد الله بعبد خيرا ألقى في

قلوب من حوله مشجعات ومحفزات يبذلوا بسببها الخير له .

١٠٣_"أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا"
بفطرته علم أن الإكرام مجلبة لنفع المستقبل ، والبعض يظن أن ابنه لن يبرّه إلا إذا أهانه وقسا عليه في صغره !

١٠٤_"وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ" إذا حضر قلبك عَتَبَةَ الملك العظيم ؛ فليُلغيَ جميع مواعيده ، وليمحوَ كلّ أفكاره ، وليتجاهلَ كافّة ترتيباته ، فهو بحضرة من بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

***

"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"(٢٢)

١٠٥_"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ" الكثير من العطايا والهبات الإلهيّة لا تأتي إلا بعد اختبارات ، ومحن ، وتجارب ، تكون أيام عمرك ميدانها ، وبعد هذا التاريخ الذي تثبت فيه أنّك وعاء جيد لتلقّي الأفضال ، ينشرح صدرك لكثير من الخير الذي لا تدري كيف أتاك ، وتعتقد أنّ مقدّمات حياتك لا تفضي إليه.

١٠٦_"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" الأنبياء لا يتم علمهم وفهمهم ونبوّتهم إلا في سنّ الأربعين فكيف بغيرهم : فاحرص على الأكابر .

١٠٨ـ"وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" الغرف المغلقة التي لا يعلم فيها أحد عن إحسانك وإتقانك ؛ هي محك الإحسان .

***

"وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"(٢٣)

١٠٩ـ"وَرَاوَدَتْهُ" ستراودك : الحياة ، المناصب ، كلام الناس ، الشهوات ، الشبهات ، لن تدعك وشأنك ، ثق في ذلك ، فاعتصم بـ **"مَعَاذَ اللَّهِ"** .

١١٠ـ"الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا" لا تجعل للآخرين دالة عليك ، بأن تكون في بيتهم أو تعمل عندهم فتجرّئهم دالتهم عليك في أن ينالوا منك !

١١١ـ"وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ" تنشط الشياطين في الغرف ذات الأبواب الموصدة !

١١٢ـ "وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ" إذا رأيت الأبواب تُغلق بدون سبب ظاهر ، فابحث عن امرأة العزيز التي ستظهر في شكل : اتفاقيّة ، مؤامرة ، توقيع ، صفقة !

١١٣ـ"وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" في قراءة هِئتُ بمعنى تهيأتُ : تهيأتْ وتزينتْ لمعصية الله ، أفلا نتهيأ ونتزين نحن لطاعته ؟

١٣٤_"وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ" ليس بين الجملتين أداة عطف توحي بالتريّث.. لم يترك _عليه السلام_ فراغا زمنيا للتفكير :كن صارما مع الشهوات قبل أن تبتلعك .

١١٥_"قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" عندما أكرم العزيز مثواه لينفعه .. نال منه على أعظم نفع : صيانة عرضه .

١١٦_"قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ" وحاول تذكيرها ، وهرب إلى الباب ، وأنكر التهمة ، وصمد لإقناع نساء المدينة ، ثم سأل الله السجن : هذه البطولـة .

١١٧ـ"إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" غالباً : إحسانك للآخرين.. صمام أمان عن إساءاتهم

.

***

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"(٢٤)

١١٨ـ"وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" امتنع الهم لوجود البرهان.. فكيف يصف البعض يوسف بأنه قد همّ.. كيف وهو من المخلَصين؟

١١٩ـ"لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" افتح عينيّ بصيرتك جيدا ؛ فهناك براهين للرب تظهر ،

يعصم بها أحبابه .. يذكرهم بها أنه الله الذي لا ينبغي أن يُعصى .

١٢٠_"لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" عند كل ريبة برهان إلهي يصرفك عنها .. حاول أن تبصره بقلبك .

١٢١_"كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء" إذا تعبدت لله بالانصراف عن السوء والفحشاء زمنا . . يأمر الله بعد ذلك السوء والفحشاء أن تنصرف عنك .

١٢٢_"كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء" صرف الله عنه الزنا –الفحشاء– .. والهم بالزنا – السوء– والله أعلم

***

"وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(٢٥)

١٢٣ـ"وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" إذا زحفت إليك شهوة.. فابحث عن الباب .

١٢٤ـ"وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" الفرار الوحيد الذي يمارسه الشجعان دون الجبناء هو الفرار عن المعصية .

١٢٥ـ"وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" إذا تسللت أدخنة الريبة إلى مكان .. فالجأ إلى الباب قبل أن تختنق بسخط الله .

١٢٦_"وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" لا تكتفِ بـ " معاذ الله" .. بل ابحث عن أقرب باب.. واهرب .

١٢٧_"وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ" لا تبك على تمزق قميص.. أو انهيار حلم.. أو تلاشي وميض.. هناك من يصنع من إخفاقاتك اليسيرة مستقبلك العظيم .

١٢٨_"وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ" ربما ظن يوسف في تلك اللحظة أنها تمكّنت.. وما علم أنها وقعّت على الإدانة التي ستظهر براءته : لا تستأ من الانتصارات المؤقتة للظالم .

١٢٩_"وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ" لا تزدر كل رث هيئة معفر الجبين مشقوق الثوب .. فقد يكون نبل ما هو الذي شق ثوبه وعفر جبينه !

١٣٠ـ"وجاءوا على قميصه بدم كذب" **"وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ"** قميصان :قميص يوسف المشقوق : يستر الله به يوسف ، وقميصه غير المشقوق : يفضح به إخوته .

١٣١ـ**"وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَاب"** لو رضخ يوسف لانفضح بعد دقائق ! لحظة دخول العزيز عليهما ! قد لا يفصل بين العظَمة والانحطاط غير دقيقة واحدة ، فتماسك ..

١٣٢ـ**"وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ"** قد يفضح الله عبده عند المكان الذي ظن أنه قد حصّنه جيدا .. اللهم سترك يا كريم ..

١٣٣ـ**"وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ"** من المؤكد أنها تيقنت من عدم مجيئه في هذا الوقت قبل

أن تشرع في مراودتها .. ولكن مالذي جاء به ؟ إنه الله !

١٣٤_"وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا" لا تتعاطف مع أول منكر.. فقد يكون أخطر مجرم .

١٣٥_عندما **"اسْتَبَقَا الْبَابَ"**" وقرر يوسف أن يفر **"أَلْفَيَا سَيِّدَهَا"** عادة البلاءات العظيمة مكوّنة من جزئين أو أكثر.. فاصبر حتى يحكم الله !

١٣٦_"قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا" ليس المشتكي هو صاحب الحق دائما .. فقد تكون الشكوى ضربة استباقية من الظا لم .

١٣٧ـ"مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ" ذكرته بأنها أهله لتستنفر غيرته : تجييش ظالم لّلغة .

١٣٨ـ"قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ" السجن خيار ملحّ في أذهان الظلمة.. على مرّ التاريخ !

***

"قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"(٢٦)

١٣٩ـ"هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" الأبرياء.. لغتهم الهادئة الواثقة تغنيهم عن الحلف .. ورفع الصوت.. ومحاولات الإقناع ! يكفي أن يقول أحدهم بكل هدوء : هي راودتني ..

١٤٠_"قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا" ... **"قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي"** لا تتعلّق بأول جملة تطرق سمعك .. وإنما بأصدق عبارة تتسلل إلى قلبك .

١٤١_**"وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا"** إذا اتقى العبد ربه جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا .. حتى أقرب الناس إلى خصمه يشهدون له ويؤيدون دعواه .

١٤٢_**"وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا"** بالقرب من كل ريبة شاهد من أهلها ينتظر دوره ليشهد لك إن كنت من أصحاب : "معاذ الله" .

***

"وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ"(٢٧)

١٤٣ـ"وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ" من خفايا لطف الله أنه قد ينجي عبده ببلاء.. بل وبموضع هذا البلاء : فإمساكها لقميصه كان بلاء ، فيوسف عندما هرب منها لم يكن يتمنى بالطبع أن تمسك قميصه ، بل أمسكته بقوّة لدرجة أنّه انقدّ ! فكان هذا الأمر غير المحبوب ليوسف هو الزورق الذي أنقذه الله به !

***

"فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"(٢٨)

١٤٤ـ"فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ" من أعظم الكرامات : قميص مشقوق .. يستر الله به سمعة يوسف : إذا لبست التقوى أغناك الله بها عن كل لباس ..

١٤٥ـ"إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ" أمامه آثمة واحدة.. ولكنه يوزع تهمتها على بقية الآثمات : تخفيف صرامة الاتهام .. هزيمة .

***

"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"(٢٩)

١٤٦ـ"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" بلا أداة نداء.. وكأنه يهمس بها في أذنه.. لئلا يسمعه الحرس .

١٤٧ـ"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ" حتى لسانه أنف أن يذكر اسم زوجته .. وكأنّه يشعر بقرف منها .

١٤٨ـ"وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ" حتى الكفار يرون الزنا ذنبا يجب الاستغفار منه .. وليس حرية شخصية ينبغي السكوت عنها .

***

"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ"(٣٠)

١٤٩ـوراودته التي هو في بيتها" اليوم فضيحتك يحتويها البيت.. **"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي**

الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا" غداً تتصدّع عنها أسوار المدينة .

١٥٠ _"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا" لو رفع الله عنا ستره.. لصرنا حديث المجالس.. يا رب سترك .

١٥١ _"امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا" لم يقولوا زليخا.. وإنما امرأة العزيز ولم يقولوا تراود رجلا.. وإنما فتاها ليمعنوا في التشنيع والتقريع .

***

"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ"(٣١)

١٥٢ـ"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ" سمعت! هناك نفوس صغيرة مهمّتها في الحياة أن تسمعك ما تكره! وتنقل لك التفاصيل المزعجة ..

١٥٣ـ"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ" أرسلت إليهنّ.." مكر مقابل مكر!

١٥٤ـ"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ" المرأة تمكر بالمرأة.. "وإلا تصرف عنّي كيدهنّ" وتكيد بالرجل.. إلا من رحم الله .

١٥٥ـ"وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا" قد تتضمّن الأشياء التي تسيطر عليها تماماً.. إدانات تفضحك !

١٥٦ـ"وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ" تعلم المرأة جيدا مدى فتنة المرأة بالجمال .. كل شيء يدل على أنها كانت متأكدة أنها ستربح الرهان .

١٥٧ـ" فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ" رؤيتك للشيء .. ليست كسماعك عنه !

١٥٨ـ"وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" إذا جاشت المشاعر.. تخدّر الشعور

***

"قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ"(٣٢)

١٥٩_""قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ" لا يلوم العصاة بعضهم بعضا على معصية الله .. وإنما على عدم التفنن والإتقان في أداء المعصية .

١٦٠_"وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ" كثيرا ما يفضح الإنسان نفسه ويكشف أسراره في مجالس الانبساط .

١٦١_"وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" كل مستعصم عن شهوة .. فيه شبهٌ من يوسف بقدر استعصامه .

١٦٢ـ"رَاوَدتُّهُ".. "تراود" .."ما آمره" من بشاعة الزنا.. أن الزناة والفسّاق لا يستسيغون التصريح بلفظه !

١٦٣ـ"فَاسْتَعْصَمَ" الاستعصام.. طلب العصمة من الله.. العفّة ليست مجرّد خلق رفيع.. بل اصطفاء وحفظ وعصمة .

١٦٤ـ"وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ" المترفون من أهل الفسق .. حتى شهواتهم ينجزونها بالأوامر!!

١٦٥ـ"لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" يعتقد الأغبياء في كل العصور أن السجن يقلل من قدر المظلوم .. والله يثبت لهم عكس ذلك .. ولكن دون جدوى .

***

"قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ"(٣٣)

١٦٦ـ"السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ" يبذل الصالحون حريتهم.. حتى لا يمس دينهم .

١٦٧ـ"السِّجْنُ أَحَبُّ" مع الله.. السجن نزهة .

١٦٨ـ"قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" المؤمن صخرة.. تتفتت حولها الرغبات .

١٦٩ـ"قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" لم يصرّح باسم ذلك المنكر .. عفّ قلبه .. فعفّ لسانه .

١٧٠ـ"وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ" لا تعتدّ بطاعتك ، ولا بنزاهتك عن المعصية ، فوالله لولا الله لكنت مثل غيرك في مقارفة الذنوب .. فاحمده وادع لغيرك .

***

"فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"(٣٤)

١٧١ـ"وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين"***فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ**

عَنْهُ كَيْدَهُنَّ" من أسرع الدعاء إجابة الاعتصام بالله من معصيته ، والاستعانة به على طاعته .

١٧٢ـ"فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ" لم يقل : فأدخله السجن ، بل قال : فصرف عنه كيدهن ! لا تنظر إلى ظلمة المصيبة بل انظر إلى النور الذي وراءها ، فالسجن مهما كانت قساوته ليست بشيء أمام المعصية وما تخلّفه من شؤم وعقاب وبعد عن الله .

***

"ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ"(٣٥)

١٧٣ـ" **بَدَا لَهُم**" يظن العبد أنّه يخطط ويدبّر ، ولا يدري أن تخطيطه وتدبيره قدر من أقدار الله ! أوليس سجنهم ليوسف إجابة من الله لدعاء يوسف ؟

١٧٤ـ" **مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ**" آية: معاذ الله ، آية: إنه ربي ، آية: برهان ربه ، آية: استبقا الباب ، آية: قد القميص من دبر ، آية: فاستعصم ، آية: السجن أحب إلي ..

١٧٥ـ" **حَتَّى حِينٍ**" حددوا وقتاً لمكثه في السجن ، ولكنّ الله أخرجه في الوقت الذي قدّره هو لا هم .. لا تحزن من تقديرات أعدائك ، فالله فوقهم محيط .. وثق أنّ الذي ابتلاك ، هو من سينهي ابتلاءك !

***

"وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"(٣٦)

١٧٦ـ"وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ" لم يدر السجّان وهو ينطق بتهمتهما.. أن الله سيتكلم بقصتهما .

١٧٧ـ "إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا" لرواية الرؤيا آداب ، منها : عدم ذكر التفاصيل العادية للمُعبر.. فمن المؤكد وجود تفاصيل غير مهمة أهملها الفتى : كلون العنب ، وأداة العصر ، والمكان الذي كان يعصر فيه العنب ...الخ

١٧٨ـ"إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا" لرواية الرؤيا آداب ، منها :التركيز على الأحداث اللافتة.. فمن اللافت أن يرى الذي أقيل من مهنته نفسه وهو يزاول تلك المهنة .

١٧٩ـ "إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا" لرواية الرؤيا آداب ، منها : ضغط العبارة.. وتركيزها .. والعناية بلغتها.. لم يقل : أعصر عنباً يصير خمراً.

١٨٠ـ "إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا" من الدلالات التأويلية : دلالة المجاورة.. فالخبز فوق الرأس يدل على الرأس.

١٨١ـ "إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ" من الدلالات التأويلية : دلالة العادة : فمن عادة الطير أكل الموتى !

١٨٢_ "أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا" الخبز.. قوت المساكين.. يعرفونه منذ القدم.. تغزو رائحته موائدهم.. وتخترق أحلامهم .

١٨٣_ "نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ" الرؤى والأحلام.. أنس المسجونين.. ورغيف الكادحين.. ومتنفس المظلومين .

***

"قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"(٣٧)

١٨٤_"قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ" أشار بلطف إلى كون الطعام رزقا .. الموفق يجد في

الكلام العادي ثغرات يستطيع أن يملأها بالتذكير بالله .

١٨٥_ "نَبَّأْتُكُمَا" وليس أعلمتكما ، والنبأ هو الأمر ذو الأهميّة ! : بقدر إمكاناتك تكون اهتماماتك ! أهم ما يهتم به السجين ، نوع الطعام الذي سيأتيه ! اللهم فرّج عن كل مسجون مظلوم يا كريم .. هذا على قول من قال : إلا نبأتكما بنوع الطعام قبل أن يأتيكما ..

١٨٦_ "نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا" أجّل بعض أمور الناس المهمّة ، التي ليس في تأجيلها ضرر عليهم .. لتستغل بقاءهم عندك مدّة أطول تدعوهم فيها إلى الله .

١٨٧_ **"ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي"** لا تدع مناسبة إلا وتصنع فيها فعلا يشير إلى فضل الله.. أو تقول فيها كلمة تثني على الله.. أو توحي إيحاء يذكر بالله .

١٨٨_ **"وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"** كرر "هم" ! قد يستنبط من هذا التكرار شناعة أمر الكفر ، إذا أردت أن تتحدّث عن كفر ما ، فلا تسوقه بلغة باردة ، استخدم التكرار ، أو أسلوب التهويل ، أو ما يشعر المخاطب بشناعة ما تتحدث عنه ..

***

"وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ

ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ"(٣٨)

١٨٩_" إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" لا تبخس الناس مكانتهم .. واذكرهم بحسب الترتيب اللائق بهم .. عوّد لسانك على العدل يتعوّد قلبك عليه ..

١٩٠_" مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ" الشرك بالله جريمة لا ينبغي أن تحدث.

١٩١_ "أَكْثَرَ النَّاسِ" وليس كلّهم ! .. التعبير الدقيق سنّة قرآنية يجب أن تُحتذى ..

***

"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"(٣٩)

١٩٢ـ"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ" اجتماع شخصين أو أكثر في مكان ، يجعلهما يقتسمان هواء واحداً ، وشعوراً واحداً ، وذكريات واحدة كفيلة بأن تجعلهما صاحبين ..

١٩٣ـ"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ" الصحبة .. حتى في أسوأ الأماكن لها قداستها التي تجعلها تذكر ولا تُنسى ..

١٩٤ـ"أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" في أحيان كثيرة لا تحتاج لتقنع الآخر بخرافيّة فكرته ، وسذاجة رأيه إلا لمقارنة

بسيطة .. يرى بها الهوّة السحيقة التي يهوي فيها ..

١٩٥_ "أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ" لا تكاد تجد نصّا آية أو حديثاً .. يثني على التفرّق .. التفرّق صفة ذميمة مغروس قبحها في الفطر ..

***

"مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ"(٤٠)

١٩٦_"مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء" لعدم نفع وضر ما يعبد من دون الله .. كأنها

مجرّد أسماء ليس وراءها مسميات حقيقيّة !
لضعفها أشبهت العدم .

١٩٧_" **سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم**" جناية عظيمة يجنيها الآباء .. عندما يجعلون الكفر بالله إرثاً يورّثونه أبناءهم ..

***

"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ"(٤١)

١٩٨_" **أَمَّا أَحَدُكُمَا**" من آداب التعبير : ألا يذكر المعبر التفاصيل غير المهمّة .. أو الموحشة.. فقد أبهم ولم يعيّن لرائي الخبز أنه الذي سيصلب .

١٩٩_"أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" من الدلالات التأويلية :دلالة البداية على النهاية والمقدمة على النتيجة .. فاستدل بالعصر على السقي.

٢٠٠_ "فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" فسّر الرؤيا بظاهرها.. لأن ظاهرها فيه من الغرابة ما يكفي .. فمن المستبعد إطلاق محكوم بالإعدام فضلا عن عودته لمهنته.

٢٠١_ "وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ" من مفاتيح التأويل مفتاح العادة : فمن العادة أن الطير لا يأكل إلا من رأس من مات مصلوباً.

٢٠٢_"فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ" من آداب التعبير :أن تشير في تأويلك إلى ما يوحي للرائي بأنك قد

استنبطته من رموز رؤياه ليثق في تأويلك ..
فمع أن المهم في هذا السياق هو الصلب سواء
أكلت الطير من رأسه أم لم تأكل ، إلا أن
إيراد الطير هنا تذكير بأنها من رموز الرؤيا ،
فقد رأى أن الطير تأكل من الخبز الذي فوق
رأسه ..

***

"وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"(٤٢)

٢٠٣_لا تقل لأحد :"**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**"..
فقط ثق بالله : يخرجك من ضيقك برؤيا يراها
سجّانك.. يجعل الشمس تزاور عنك .. يفجّر

الطوفان نُصرة لك .. يخسف بمدينة سخرت بك ..

٢٠٤_ "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" لا أحرص من الشيطان على بقاء الصالحين في السجون .

٢٠٥_ "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"

تأمل " **بِضْعَ** "..مع أن الله سبحانه يعلم عدد تلك السنين تحديداً .. إلا أننا نتعلم من عدم تحديد العدد هنا ألاّ نقول ما لا فائدة منه.. لا تشغل الناس بتفاصيل غير مهمّة.. أوجز وأشر وألمح ..

***

"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"(٤٣)

٢٠٦_"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى" رؤيا كانت السبب في خروج يوسف من السجن ! من لطفه سبحانه أنه يجعل ما ليس سبباً في العادة .. أقوى الأسباب !!

٢٠٧_"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى" سبحان من لو يشاء لأهمّك بأتفه الأشياء : هذا ملك مطاع توقظه رؤيا .. ويهتم لها .. ويبحث عن تأويلها !

٢٠٨_"سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ" هنا رمزان منفصلان في رؤيا .. متشابهان ومختلفان .. فاستفاد يوسف عليه السلام منهما في التأويل : فالتشابه هو في العدد فعلم أن العدد مقصود في الرؤيا ، والتشابه في كون السِمَن والعجف يشبه الخضرة واليبس ، فاستنبط حالين أحدهما يسر والآخر عسر .. ولتشابههما في البداءة باليسر كان التفسير وفق ذلك .. ثم هناك اختلاف في كون الأولى بقرا يأكل بقرا .. بينما الثانية سنابل .. فاستفاد من الأكل في رؤيا البقر كون التأويل يدل على مجاعة بدلالة العكس ، واستنبط من السنابل كون فرج تلك المجاعة مخبوء في كيفية زرع وتحصين سنابل القمح !

والله أعلم .. فليستفد المعبّر من تواطؤ الرؤى ، ويستفيد من فروقات الرؤى أيضاً ..

***

"قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ"(٤٤)

٢٠٩_ "وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ"

من واجب الجاهل أن يسكت لا أن يفتي ، ولكنّ الاعتراف بالجهل مروءة لا تناسب من تعوّد على الكذب والسحر .

***

"وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ"(٤٥)

٢١٠_ "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا" إن لم تكن عالماً .. فكن وسيطا بين العالم والأمّة : أوصل همومهم له .. وانقل بيانه لهم ..

٢١١_"وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" عندما تومض بروق المشيئة .. تمطر الذكريات بغزارة.

٢١٢_"وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" تذكر الساقي أمر يوسف بعد أن نسيه !! إذا أراد الله نُصرتك .. جعل ذكريات الآخرين تثور من أجلك .

***

"يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ"(٤٦)

٢١٣ـ"**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا**" بعض عاصري الخمور أكثر أدبا مع العلماء من بعض طلبة العلم .. كن سخيا بألقاب التكريم مع من يستحقها..

***

"**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ**"(٤٧)

٢١٤ـ" **فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ**" لا تكن موضوعيا وحرفيا في تأويلك وإجابتك : قدم نصائحك وإرشاداتك في طي التأويل والبيان .

***

"ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ"(٤٨)

٢١٥ـ" **سَبْعٌ شِدَادٌ**" قد توصف السنة بأنّها شديدة كما هي هنا ، وبأنّها نحسة كما في قول الحق : " أيام نحسات" وبأنّها عصيبة كما في قوله : " هذا يوم عصيب" .. وليس هذا من سبّ الدهر .. بل من وصفه .

***

"ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ"(٤٩)

٢١٦ـابحث في البؤس عن النعم ..

٢١٧ـبشّر الناس ..

٢١٨_يقول المفسّرون استدل على هذا بالوحي إذ ليس في الرؤيا ما يفيدها .. وأقول : لعلّ حال الوسيط في الرؤى معتبر ، فالمرسول لقصّ الرؤيا عاصر خمر ، فاستدلّ بحاله على الحال إذ أن هذا المرسول كان بفضل الله نهاية سجن يوسف والرغد وعصر العنب سيكون نهاية القحط والله أعلم ..

***

"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"(٥٠)

٢١٩_**"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ"** النفاسة على قدر النزاهة .

٢٢٠ـ"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ" لا تُجب –أيها العالم– كل الدعوات الآتية من أصحاب الدنيا .. حافظ على هيبة ما لديك ..

٢٢١ـ"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ" لا تدخل بلاط الملوك إلا بسمعة كالشمس .

٢٢٢ـ"قَالَ ارْجِعْ" الذي يقول للشهوة " معاذ الله" .. يقول لرسول الملك : ارجع .. الذي ينتصر على نفسه .. ينتصر على كل ملوك الدنيا !!

٢٢٣ـ"ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ" لا تتحطم السجون إلا بهذه الكلمات ..

٢٢٤ـ"قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ" ما فائدة حرية مع سمعة مشوهة ؟

٢٢٥ـ " مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" منظر الدم يستحيل نسيانه .. مع أنهن فعلن به ما هو أشد من تقطيع الأيادي .. إلا أن للدم هيبته ..

٢٢٦ـ" إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" تمثّلك علم الله بكيد ظالمك هو أعظم ما تكمّد به قروح قلبك المكلوم .. ألم يقل سبحانه لموسى عليه السلام : " إني معكما أسمع وأرى " هذا يكفي ..

***

"قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"(٥١)

٢٢٧_"قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ" بسؤال حازم واستقصاء بسيط يستطيع ولي الأمر إنهاء أكذوبة سببت في سجن بريء ..

٢٢٨_إذا قالت لك الشهوات :"حاشَ لله ما هذا بشرا" فاعتصم بالله واصبر .. يجعلها الله تقول عنك :**"قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ"** .

٢٢٩_الذي يصمد لـ"حاش لله ما هذا بشرا" يمنّ الله عليه بـ"**حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**" ..

٢٣٠_" **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**" اصبر على أكاذيبهم .. اصمد لاستهزائهم .. أغمض عينيك عن لفح سياطهم .. سيحصحص الحق !

٢٣١_"**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**" بأمر من القوي العزيز.. تنهار امرأة العزيز

٢٣٢_ "**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**" تماسك .. لا تغرنّك بارقة انفراج .. اثبت كالجبل حتى تحصحص الحقائق كاملة !

٢٣٣ـ"أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ" فضيحة بحجم الكون .. وبتجهم التاريخ.. وبخلود القرآن ..

٢٣٤ـ" أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" إذا أراد الملك صيانة جناب العلماء .. فستتحول الرعية إلى مدافعين عنهم .. حتى ألدّ الخصوم

***

"ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِيْن"(٥٢)

٢٣٥ـ "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ" أن تثبت براءتك مما رُميت به ، وتظهر للناس طهارة صفحتك ؛ من أعظم لذائذ الدنيا ، وأشد حاجات البشر ، وأنفس غايات الحياة ..

٢٣٦_" لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" الذي لا يخون بالغيب .. لن يخون في الشهادة .. عليك السلام يا نبيّ الله يوسف ..

٢٣٧_" وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِيْن"
إذا خانك خصمك فلا تحزن .. إنّه يستجلب هزيمته بيده ..

٢٣٨_"ذَلِكَ لِيَعْلَمَ" مع أنّه شهد شاهد من أهلها ، قيل صبي في المهد ، وقيل قريب لها .. ومع ذلك فقد أفادت تلك الشهادة (الظن) في نفس العزيز : لا يفيد (العلم) مثل اعتراف الجاني بلسانه ..

***

"وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(٥٣)

٢٣٩ـ"وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ" يظهر أنّها من مقول يوسف عليه السلام : لا تدّع لنفسك البراءة من السوء وإن كنت في عفّة وصبر وتقوى يوسف ..

٢٤٠ـ"لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" أمّارة ، وليست آمرة ! يا ليتها كانت فاعلة وحسب !! كم أرهقتنا هذه الفعّالة ..

***

"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ"(٥٤)

٢٤١_ بعد التأويل قال الملك: "**ائْتُونِي بِهِ**" وبعد البراءة قال: " **ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**" علمك يجعلهم يقربونك .. ونزاهتك تجعلهم يصطفونك.

٢٤٢_"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي" جبلت نفوس الملوك على حب الاستئثار بالفرائد ..

٢٤٣_"فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ" الدعاة إلى الله شخصيات مبهرة

ومقنعة .. لذلك يحرص المفسدون على الحيلولة دون وصولهم لصناع القرار ..

٢٤٤_"فَلَمَّا كَلَّمَهُ" كلمة منك .. أشدّ وقعاً من كلمات عنك !

***

"قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"(٥٥)

٢٤٥_"قَالَ" اللسان الذي قال للمعصية : " معاذ الله " بكل خشية .. جعله الله يشافه الملك بكل عزّة !

٢٤٦_" اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ" مصالح الناس أهمّ ما يهمّ الدعاة .

٢٤٧ـ" إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" أصدق سيرة ذاتية كتبت ..

***

"وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"(٥٦)

٢٤٨ـ"وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ" صبر على حبسه في بقعة ضيقة من مصر.. فمكنه الله في مصر ..

٢٤٩ـ"نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء" وقد بيّن الله من هم الذين شاء أن يصيبهم برحمته في سورة الأعراف فقال سبحانه : " ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون

ويؤتون الزكاة والذي هم بآياتنا يؤمنون" ..
وهذه الصفات يعلم المتأمّل أنّها اجتمعت في
يوسف عليه السلام .. فكان أهلا _بفضل
الله_ أن يصيبه الله برحمته .. والآية التالية جاء
فيها ذكر التقوى والإيمان .. ولم يأت ذكر
الزكاة وكأنّها دخلت ضمناً في التقوى ، كما
أنّها عُطفت في آية الأعراف مع التقوى ! إذن
: فالمتّقون والمؤمنون جمعوا رحمة الدنيا وأجر
الآخرة .. اللهم اجعلنا منهم .

***

"وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ"(٥٧)

٢٥٠_" **وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**" ما أعظم ذكريات التقوى .. ما أجمل أن تتذكر في عرصات الآخرة مواقف عملتها بدافع التقوى ..

***

"وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ"(٥٨)

٢٥١_"**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ**" أتوا بأرجلهم إلى الذي ألقوه في غيابة الجب ! ها هي " لتنبئنّهم" بدأت تتحقق !

٢٥٢_"**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ**" لو جاءوا قبل سنين لكان يوسف فتى في قصر العزيز ، ولو جاءوا قبل سنوات لكان يوسف حبيساً متهما في سجن مصر .. ولكنّه جاءوا الآن ليكون

يوسف عزيز مصر ! لا تقل في دعائك : اللهم انصرني عاجلاً .. فقد يريد الله أن ينصرك نصراً فيه عزّة لك .. وإن تأخر قليلاً ..

٢٥٣ـ"وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ" رحلة شاقّة .. مترعة بغبار العقوبة ..

٢٥٤ـ"وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ" مشكلة أخيك أنه حتى وإن خططت لاغتياله .. حتى وإن أحرقت قلبه .. حتى وإن شوهت ذكرياته .. يبقى أخاك ..

٢٥٥ـ "فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ" الذين ألقوه في البئر حتى لا يروه .. دخلوا عليه اليوم ليراهم !

٢٥٦ـ"فَعَرَفَهُمْ" أخذت الملامح القديمة تدبّ في أوجه عبث بها الفقر .. وصبغها الغبار .. وغيّرتها السنون ..

٢٥٧ـ"فَعَرَفَهُمْ" وكأن شيئاً في قلبه يقول الآن : أخيراً أتيتم ؟

٢٥٨ـ"فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" كيف ينسى من خطط لاغتياله ؟ كيف ينسى تلك الأوجه التي رمقته من أعلى البئر لتتأكد أنها قد تخلصت منه؟

٢٥٩ـبين : **"فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ"** و **"فَعَرَفَهُمْ"** .. شريط ذكريات ساخن.. شاحب.. سريع.. كلّه دموع وغُصص .. وآهات وقِصص .

***

"وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ"(٥٩)

٢٦٠ـ"قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ " لم تنسه أُبّهة المنصب أشواق الأخوة ..

٢٦١ـ"قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ" حنين الماضي .. وذكريات الطفولة.. ودفء الأخوة .. عصف بجلال المنصب .

***

"فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ"(٦٠)

٢٦٢ـ"فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي" لو أنصتوا لغضب عباراته .. وحرارة تعبيراته لأدركوا أنه يوسف ..

***

"قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ"(٦١)

٢٦٣ـ "أَبَاهُ" وكأنّه لشدّة تعلّقه به أبوه وحده ! ..

***

"وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"(٦٢)

٢٦٤_"وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ" كان قبل السجن فتى في بيت العزيز .. فصار بعد السجن عزيزا وعنده فتيان : التمكين لا يأتي إلا بعد الابتلاء
.

***

"فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"(٦٣)

٢٦٥_كيف يقولون : **"فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"** ولا يريدونه أن يتذكر : "أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون"

٢٦٦_ما بين : "أرسله معنا غدا" .. و **"فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا"** سنوات مليئة بيوسف ..

٢٦٧_"أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون" **"فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"** وإنا له لحافظون الأولى.. جعلت وإنا له لحافظون الثانية بلا قيمة ..

***

"قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(٦٤)

٢٦٨_**"قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ"** احذر : إذا فقد

أحبتك ثقتهم فيك .. فمن الصعب جدا أن تعود

.

٢٦٩_عندما قال" وأخاف أن يأكله الذئب" غاب عنه ابنه .. ولما قال **"فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا"** عاد إليه ابناه ..

***

"وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ"(٦٥)

٢٧٠_ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ"
اجعل في حياة الناس ما يذكرهم بك !

٢٧١ـ" وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ " مشكلة إن أدرج الآخرون أهم ما يعنيك في طيات كلامهم .. وجعلوه والتوافه في درجة واحدة !

***

"قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ"(٦٦)

٢٧٢ــ في :"**لَنْ أُرْسِلَهُ** " صرامة ..وفي :"**إِلاَّ**

" رحمة : فكن صارماً برحمة ..

٢٧٣_" حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ" أبناء

الأنبياء يعلمون جيداً ما هو الميثاق الذي من

الله .. فلا يحتاجون لأكثر منه .

٢٧٤_" لَتَأْتُنَّنِي بِهِ " تأتني به وليس تجيئوني

! المعنى متقارب ، ولكن عندما تجيء بالشيء

لمن طلبك إياه فيكفي أن توصله إلى مكانه ،

فيكون قريباً منه ، بينما إذا أتيت له بالشيء

فكأنّك تناوله إياه يداً بيد .. فكأن في الإيتاء

ملاصقة وفي الإجاءة مقاربة والله أعلم ..

***

"وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"(٦٧)

٢٧٥_"يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ"
عجباً للأُبوّة ! طعنوا فؤاده .. ومازال يحبّهم .

٢٧٦_"وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" عندما تفرّقت آراؤهم .. وأجمعوا على جعل الجب مأوى ليوسف.. تفرّقوا في الأبواب .. وجمعهم الله في قصر يوسف !

٢٧٧_" لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ" لا تلفت أنظار الناس إليك ..ففيهم الحاسد ، واللص ، والنمام .. كن عاديّاً حضرة العامّة ما

استطعت .. أما أصفياؤك فكن بحضرتهم كما أنت ..

٢٧٨ـ" عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ" توكل على الله مع أنّهم هم الذاهبون لا هو .. والمعروف أن المسافر يتوكل لا المقيم .. وهذا لمعرفته عليه السلام بربّه وبمعنى التوكل وبنقصه كبشر ، وكما قيل : ليس المتهادي على لوح في وسط البحر بأحوج إلى الله من الماكث في وسط بيته بين أهله .. كلّهم يحتاجون الله ويتوكلون عليه ..

***

"وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ"(٦٨)

٢٧٩ـ"وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم"

البر هو أن تعمل مرادات أبيك وأمّك ولو لم يعلموا بعملك ..

٢٨٠ـ"إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ" من تمام العلم.. ألا تعاند نفسك في حاجاتها الفطريّة التي لا تخالف شرعا ولا عقلا..

***

"وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"(٦٩)

٢٨١_"قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ" لا تجعل حيرة التوقعات تنهش قلوب أحبابك .. صارحهم بالحقيقة .. أطفئ لوعة الفقد .. قل لهم كل شيء .

٢٨٢_" فَلاَ تَبْتَئِسْ " ضمّد جراح الآخرين بلا تبتئس .. اربت على أكتافهم بلا تبتئس .. خفف من معاناتهم بلا تبتئس ..

***

"فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ"(٧٠)

٢٨٣ـ"فِي رَحْلِ أَخِيهِ" أخوك الذي تخصّه بوصف الأخوّة من بين إخوتك هو الذي لم يعطك ظهره عندما رآك تتهاوى في جبّ مآسي الحياة ! هو الذي لم يكن ضمن من دفعوك في ذلك الجبّ المظلم ..

٢٨٤ـ " ثُمَّ " لا بدّ من شيء من الأناة والتريّث بين تفاصيل بعض مخططاتك ، حتى تنجح ..

٢٨٥ـ "ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ" ما اسمه ؟ ما صفته ؟ كيف كان صوته ؟ كل هذا لا يهم .. لا تشغل مخاطَبيك بالتفاصيل غير المهمّة ..

***

"قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ"(٧١)

٢٨٦_" وَأَقْبَلُواْ " البريء يُقبل .. والمتّهم يهرب ..

٢٨٧_" مَّاذَا تَفْقِدُونَ" لم يقولوا : ماذا سُرق منكم .. لأنّ ملابسات مجيئهم ، ثم معرفتهم بأنفسهم ، وتربية يعقوب _عليه السلام_ لهم على معالي الأمور تجعل السرقة بالنسبة لهم احتمالاً بعيداً جداً ..

***

"قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ"(٧٢)

٢٨٨_ "صُوَاعَ الْمَلِكِ" اختيار دقيق للفظ مع أنّ من أسمائه السقاية ! لعلّ في إيراد كلمة " الملك" إرادة إدخال شيء من الخوف .. وإضفاء شيء من الجدّية في الموقف ..

***

"قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ"(٧٣)

٢٨٩_ "تَاللَّهِ" الفطرة البشريّة تعود تلقائيّا إلى الله في ساعات الضيق ..

٢٩٠ـ" **تَاللَّهِ**" من الذي سيثبت براءتك إلا الله ؟ لذلك تحلف به عند احتلاك التهم من حولك ..

٢٩١ـ "**تَاللَّهِ**" أكثر أبناء يعقوب من " تالله " فجاءت على ألسنتهم ساعة الضيق .. وأكثر يوسف عليه السلام من " معاذ الله " فجاءت على لسانه ساعة الضيق .. وأكثرت النسوة من " حاش لله" فجاءت على ألسنتهنّ ساعة الضيق !

كلماتك المعتادة هي التي ستظهر في اللحظات الحرجة !

***

"قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ"(٧٤)

٢٩٢_ "قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ" من مهارات الحوار أن تستنطق خصمك بما يدينه قبل أن تكشف جميع ما عندك من حجج ، وتخبّئ له المفاجآت التي تحبط فكرته ..

***

"قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"(٧٥)

٢٩٣_ " فَهُوَ جَزَاؤُهُ" أحِل إلى المعهودات الذهنية والعرفيّة والشرعية .. لا تطل كلامك بتفاصيل معروفة .. فذلك من تمام العقل ..

***

"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"(٧٦)

٢٩٤_"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ"
كلهم إخوته .. ولكن إن اجتمعوا انصبت الأخوة الحقة على من لم يعبث بها .

٢٩٥_" فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ "
مهّد لمفاجآتك ..

٢٩٦_ "كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ" إذا أحبك الله .. كاد لك .. وجعل محبوباتك سهلة المنال

.. وحتى خيالاتك الجميلة يحولها إلى ممكنات أجمل ..

***

"قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ"(٧٧)

٢٩٧ــ "فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" هناك أشخاص لا ينسون حتى الإشاعات التي ثارت حولك .. والأكاذيب التي وردت عنك .. والقصص التي اختُلِقت فيك !

٢٩٨ــ" فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ" في نفوس العظماء صناديق كبيرة يضعون فيها

الكثير من خطراتهم .. ويدفنون فيها الكثير من ذكرياتهم وأحاسيسهم وحُرُقاتهم ..

٢٩٩ـ "وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ " حتى ذلك التمعّر الطبيعي الذي يظهر على سحنة المرء لحظة أن يُتّهم بفرية ما .. استطاع يوسف أن يخفيه ! أي عَظَمَة كانت تسكن يوسف عليه السلام ؟

***

"قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"(٧٨)

٣٠٠ـ"إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا" مما يسترحم به منذ القدم وإلى الآن في حال السجين أن يكون والداه أو أحدهما ممن مسه الكبر ..

٣٠١_" **فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ** " كيف يأخذ يوسف أحدهم مكان بنيامين ؟ وهل يستوي من كان من إخوته يتمنّى فراقه ، ومن كان يتمنّى لقاءه ؟

***

"قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ(٧٩)

٣٠٢_ " **مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ**" وهل فعلنا كل هذه التفاصيل إلا لنأخذه ؟

٣٠٣_ كان بنيامين المرهم الذي دهن به يوسف عليه السلام قلبه .. لم يستطع العودة إلى أبيه وإخوته وهو بآثار جراح الماضي .. لا

بد من مرهم يمكث زمناً يدهن به قلبه وذكرياته وحزنه .. وقد كانه بنيامين .. والله أعلم

***

"فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"(٨٠)

٣٠٤_"فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا"

هنا فخامة تروع القلب .. وجلال يمس الشغاف .. وشيء يصعب التعبير عنه .. هنا طبقة فاخرة من الكلام ..

***

"ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ"(٨١)

٣٠٥ــ" يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ " أمرهم بمناداته بنداء البعيد "يا" فلعلّ ذلك لأنّه علم أنّهم لن يستطيعوا أن يقتربوا منه هيبة له ، وخوفاً من غضبه ..

٣٠٦ــ" يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ " ومن أسرار (يا) هذه وظلالها .. أنّه تخايل خروج الأب للقاء أبنائه ، فرحاً واستبشاراً ، واطمئناناً على عودة بنيامين .. وكأنّه إذ لم ير بنيامين ناداهم من بعيد : أين بنيامين ؟ لا أراه معكم .. فيجيبونه ومازالوا بعيدين عنه : يا أبانا إن ابنك سرق ..

٣٠٧_ " وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" المشهور في القرآن أن الله عالم الغيب .. فلمّا أرادوا أن ينفوا علم الغيب عن أنفسهم لم يستخدموا مفردة " العلم " وإنّما "الحفظ " ولعلّ في ذلك _ والعلم عند الله_ تأدّباً ..

حتى حين تريد أن تنفي بعض صفات الله عنك .. لا تستخدم نفس المفردة التي تؤدّى بها الصفة وإنّما مرادفاً لها يقلل من جُرأة الكلمة .. حتى في سياق تعظيمك لله .. زدّه سبحانه تعظيماً ..

***

"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ"(٨٢)

٣٠٨_ "وَاسْأَلِ" حتى وإن كنت صادقاً مُصدّقاً : هناك ظروف تجعلك تحتاج أن تطمئن الآخرين إلى صدقك ، وتزيدهم ثقة بما تقول ، فالكلام ليس طبقة واحدة ومستوى واحد .. بل في الكلام كلام يجب عليك تغليظ عبارتك حتى يفهم ويصدّق مهما كنت صادقا في نفسك ومصدّقا من الآخرين ..

***

"قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"(٨٣)

٣٠٩_" فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" قاومَ لوعة فقد يوسف بالصبر الجميل.. وحرقة اختفاء بنيامين

بالصبر الجميل.. الصبر الجميل أنجع مسكّن لآلام الأرواح المفؤودة.

٣١٠_" عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا " في وقت مصيبته ببنيامين .. يثق أن الله سيعيد له بنيامين ويوسف أيضاً ! العارف بالله كلما اشتدّت المحن ، زاد يقينه بالله ..

***

"وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"(٨٤)

٣١١_"وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ" لم يطفئ الجرح الجديد لهيب الجرح القديم .. بل هيجه ..

٣١٢_"وَتَوَلَّى عَنْهُمْ " هنا وجع لا تستطيع الأحرف التعبير عنه ..

٣١٣_"وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" هذا حب جبار .. أراده الله لحكم ولطائف .. فطلبُ أن يعدلَ يعقوب في مشاعره بين أبنائه تكليف بما لا يستطاع .

٣١٥_"وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" حينما تسودّ الحياة .. تبيضّ العيون .

٣١٦_"وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" حينما فارقه ولداه .. ابيضّت عينـاه .

***

"قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ"(٨٥)

٣١٧ـ"ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا" ، **"قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ"** حاربوه في الحب .. ثم حاربوه في ذكرى الحب !

***

"قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"(٨٦)

٣١٨ـ "أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ"

الشكاية إلى الله عادة لا يستغني عنها الصالحون .

***

"يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ"(٨٧)

٣١٩ـ"يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ

" كيف يتحسسون منه وقد أكله الذئب ؟ انفضحوا حتى عند أنفسهم .. فلم يعد لإصرارهم على كذبتهم فائدة ..

٣٢٠ـ" وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ " من كبائر الذنوب اليأس من روح الله .. يجب أن تُبقي نافذة الثقة بالله مشرعة في قلبك .. حتى والأمواج تتلاطم من من حولك ..

***

"فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ"(٨٨)

٣٢١_ " مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" هنا لم يستطع يوسف أن يصمد .. كيف له أن يتخيّل أهله وقد مسّهم الضر .. وكأنّي بعينيه تبرقان دمعاً !

٣٢٢_" وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا " عندما اتقى : جعل الله الذين خططوا لقتله يطلبونه الصدقة !

***

"قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ"(٨٩)

٣٢٣_" هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ" لا نحتاج إلى أن نخوض في التفاصيل ، فأنتم تعلمون كل شيء !!

***

"قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"(٩٠)

٣٢٤_"قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ" بدأت ملامح يوسف القديمة تتركب في أعينهم .. وذكريات بئر الجريمة تعصف .. وبات الموقف ساخنا .. واللحظات محرجة .

٣٢٥_"قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ" التعارف الأكثر إحراجا في التاريخ ..

٣٢٦_" أَنَاْ يُوسُفُ " وكأني بأعينهم اتسعت فجأة لتلقي الصدمة الأعنف في حياتهم !

٣٢٧_ "إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" جميع ما في سورة يوسف اختصر في هذه الكلمات العشر .

***

"قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِين"(٩١)

٣٢٨_"قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا"
علموا الآن أنه ليس أحب إلى أبيهم منهم فحسب .. بل أحب إلى ربهم منهم ..

٣٢٩_"لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا " يحتاج البعض إلى عقود من السنين ليقتنعوا ببدهية ما ..

٣٣٠_" لَخَاطِئِين" المخطئ هو من عمل خطأ .. والخاطئ هو من عمل خطيئة ، اعترفوا أنّهم كانوا خاطئين لا مخطئين فحسب ! اعترف بفداحة جُرمك .. خصوصاً تلك الجرائم التي لا يمكن أن تدفنها السنوات ..

***

"قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(٩٢)

٣٣١_"قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" هنا تتجلى العظمة.. كيف استطاع أن يمزق تاريخ الكيد والمكر.. والاتهامات والتشريد.. والبيع وتشويه السمعة في لحظة !

٣٣٢_"قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ " الأخ تنازل.. والأب تجاوز.. والرب غفر : إذن ليس لنا أن نثرب عليهم أو نطعن فيهم بل نأخذ العبرة وحسب ..

٣٣٣_ " **الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** " اليوم تنشرح صدوركم .. اليوم تذوقون نوماً ما ذقتموه منذ أن ألقيتموني في البئر .. اليوم تذهب قترة في أوجهكم .. اليوم يغفر الله لكم ..

***

"اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ"(٩٣)

٣٣٤ـ"اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا" القميص الذي لم يأكله الذئب.. ولم تمزقه السنون.. ولم يسلبه السجن شذاه ..

٣٣٥ـ"اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" من حق الروح التي فجعت بقميص ملئ دماً وقهرا .. أن تسعد بقميص ملئ عبقاً وعطراً .

٣٣٦ـ" وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" كل جماعة من الممكن أن تستثني منها أفراداً ..إلا جماعة الأهل .. كل لوحة من الممكن أن تستغني عن جزء من مكوّناتها إلا لوحة الأهل ..كل

قصيدة من الممكن أن تحذف بيت من أبياتها
دون أن تتغيّر .. إلا قصيدة الأهل ..

***

"وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ"(٩٤)

٣٣٧ـ" إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ " لقد حوله الإحسان والصبر والتقوى إلى عطر بشري.. تستروحه النفوس الواثقة بموعود الله .

٣٣٨ـ" لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ" من العادات البشرية السيئة أن أي كلمة غريبة من الكبير في السن تؤّل ممن حوله بأنها علامة من علامات الخرف !

***

"قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ"(٩٥)

٣٣٩_"لفي ضلال مبين"، "**لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**" سموا حبه لابنه ضلالا مبينا. وذكره له ضلالا قديما.. مشكلة إن كان ميلك الطبيعي سببا في رميك بالضلال !!

***

"فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"(٩٦)

٣٤٠ _"فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ" سارع في نقل الأخبار المفرحة لأصحاب القلوب المتقرّحة ..

٣٤١_" قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" لا بأس أن تذّكر الآخرين بصحة توقعاتك بعد تحققها.. بشرط أن تكون مبنية على علم لا على حدس وظن ..

***

"قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ"(٩٧)

٣٤٢_" يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا" لم يقولوا استغفر لنا ما فعلناه بك من مصائب: لا تُذكّر من أخطأت في حقه بخطئك ..لا تنكأ قلبه بسرد التفاصيل ..

***

"قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(٩٨)

٣٤٣_ "سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ" يقال أجل الاستغفار لوقت السحر لأنه وقت دعاء .. ففيه تأجيل بعض أعمال الخير لمصلحة راجحة .

***

"فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ"(٩٩)

٣٤٤_ "آمِنِينَ" أول هديّة يهديها إخوته .. هي أثمن نعمة يسلبونها منه ! الأمن ..

٣٤٥_ "آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ" لا تجعلك زخارف الحياة وبهرجها .. وأبّهة المناصب وورنقها تنسيك أبويك ..

***

"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"(١٠٠)

٣٤٦ـ" وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ " ما أجمل حديث الذكريات .. بعد انقضاء الأيام المبكيات ..

٣٤٧ـ"يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ" لا تنس ذكرياتك الجميلة وإن كانت رؤى.. وامح ذكرياتك المحزنة.. ولو كانت محاولة قتل .

٣٤٨ـ بين : " يا أبتِ إني رأيت " و **"يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ"** تاريخ كلّه : أحزان.. وابتلاءات.. ومواجع .. وصبر كالجبال .

٣٤٩ـ" وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" لم يذكر البئر.. مع أن مناسبته أقوى.. لم يرد أن يجرحهم !

٣٥٠_" **وَقَدْ أَحْسَنَ بِي**" توقع أن يسيء إليك إخوتك.. أن يقسو عليك أقاربك.. أن يأمر من أحبك بسجنك : ولكن الذي لا ينبغي أن تتوقعه : أن يسيء إليك الله ..

٣٥١_" **إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ** " ليس ذِكْر عاصر الخمر من أخرجه.. ليس أمر الملك من أخرجه .. ليس اعتراف زوجة العزيز من أخرجه : الله هو الذي أخرجه .

٣٥٢_"**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ**" الحمد لله أن كيد الشيطان توقف عند النزغ.. كل هذه المصائب حدثت بنزغ.. فكيف لو أوتي سلطانا أكبر من النزغ علينا ؟

٣٥٣_بداية القصة :"إن الشيطان للإنسان عدو مبين" ونهايتها :" **مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ**

الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" الشيطان..
العنصر الأخطر في بؤس البشر !

٣٥٤ـ" إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء " من قرأ
سورة يوسف ثم لم يحس بلطف الله وهو
يتخلل تفاصيلها ويحكم فصولها فلم يقرأها !

***

"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"(١٠١)

٣٥٥ـ"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ" تأويل الرؤى كرامة

يذكرها يوسف في معية الملك.. وبعضنا يعتبرها من ضمن الخرافات!

٣٥٦_" تَوَفَّنِي مُسْلِمًا " الوفاة على الإسلام أمنية الأنبياء .

٣٥٧_" تَوَفَّنِي مُسْلِمًا " أعظم من الجمال .. أعظم من المال .. أعظم من العز .. أعظم من الحريّة : أن يتوفّاك الله مسلماً

٣٥٨_"وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" لا تأنس نفس المؤمن ولا ترتاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بمؤاخاة الصالحين ومصاحبتهم والتقائهم .

***

"ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ"(١٠٢)

٣٥٩ـ"وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ" في القصة تفاصيل وهمسات وأحاديث نفس ورؤى ولوعات ومفاجآت ليست من علم نبيّنا ولا درى بها إلا من أحاط بكل شيء علما .

٣٦٠ـ" وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ " كل تفاصيل القصة من الممكن أن يتناقلها الناس.. إلا جزئية مكر الإخوة وتفاصيلها الرهيبة ! لأنهم فيما يظهر ماتوا دون إفشائها .

***

"وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ"(١٠٣)

٣٦١_ "وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" هناك أخ نسي أخوه فمكر .. وهناك عبد نسى ربّه فكفر ..

***

"وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"(١٠٤)

٣٦٢_ "وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" المجّانيّة شعار كل داعية إلى الله ..

***

"وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ"(١٠٥)

٣٦٣_ "وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ " ما أكثر الآيات وما أقلّ المعتبرين ..

٣٦٤_ " يَمُرُّونَ عَلَيْهَا " لا تفيد الآيات الذي يمرون عليها .. ولكنّها تحوّل حياة أولئك الذين يتوقّفون عندها ..

قدر الهداية التي شُحنت به الآية الكونية والشرعية لمن يتأمّلها ويتوقّف عندها متدبراً .. يقابله قدر من القسوة لمن مرّ عليها غافلاً ..

***

"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ"(١٠٦)

٣٦٥ـ يؤمنون أن الله هو الخالق ويعبدون غيره .. يقرون بربوبيّته .. وينكرون ألوهيّته ! هناك إيمان يجعل الكفر أشدّ حدّة .. وسماع للقرآن يجعل الرجس أكثر يباسة .. ورؤية لرسول الله تجعل النفاق أكثر خُبثاً ..

***

"أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ"(١٠٧)

٣٦٦ـ" **غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ** " الابتلاءات يشعر بها العبد محصورة محدودة .. صداع في

الرأس .. ضعف في العين .. حزن في القلب .. بينما عذاب الله يأتي على شكل هالة مقت سوداءِ يشعر بها العبد تحيط من كل مكان .. وتغشاه من كلّ جهة .. وتحاصره من كل طريق ..

٣٦٧_ " وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ" الاستعداد للمصيبة يخفف من وقعها .. لذلك فغالبيّة عقوبات الله في القرآن مقرونة بعدم الشعور ..

***

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"(١٠٨)

٣٦٨_ " وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" لا يكفي أن تتبرّأ من الشرك .. بل يجب أن تتبعه براءة من أهل الشرك ، إذ أنّهم الدعاة إليه ، والمزيّنون له ، والراضون به..

***

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"(١٠٩)

٣٦٩_ " أَفَلَمْ يَسِيرُواْ" السير بحد ذاته سواء بالقدمين أم بالاستخبار وطلب الحقيقة يؤدّي

إلى رؤية كل شيء .. ومعرفة الأمور على حقيقتها .. والموفّق من وفّقه الله .

***

"حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ"(١١٠)

٣٧٠ـ"حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا" ونحن نُبتلى في الصباح.. ونريد النصر في المساء !

٣٧١ـ" جَاءَهُمْ نَصْرُنَا " لا تبحث عن نصر الله .. هو سيعلم مكانك وسيجيء إليك إن كنت ممن يستحقه !

***

"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(١١١)

٣٧٢_ "لِّأُولِي الأَلْبَابِ" أي شخص لا يعتبر بقصص القرآن .. في عقله مشكلة !

٣٧٣_ "وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" لن ترى نوره .. حتى تؤمن به ! لن تغمرك هدايته حتى تغسلك التقوى ! لن تنال رحمته حتى تخضع لشريعته ..

أنهيت كتابتها ومراجعتها حسب الإمكان في :
١٤٣٥/٩/٥ هـ

نفع الله به كاتبها وقارئها وناشرها ..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .. له الحمد في الأولى والآخرة ..

علي جابر الفيفي